

دراسة نفسية لشخصية عنتره

في ضوء نظرية «أدلر»

رضا افخمي عقدا^١، محسن زماني^{٢*}، علي علي محمدی^٣

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد

٢. طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد

٣. طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد

تاريخ استلام البحث: ٩٣/٠٩/٠١ تاريخ قبول البحث: ٩٤/١١/٠٦

الملخص

الاهتمام بالأعمال الفنية والأدبية وتحليلها على أساس مبادئ علم النفس والقيام بتحليل شخصيات العمل الأدبي خلال آثارهم من وجهة النظر النفسية، قد امتاز بين الاتجاهات النقدية المختلفة في القرن العشرين، ومن بين هذه النظريات المتطرفة إلى الشخصية، تتمتع نظرية "ألفريد أدلر" (١٨٧٠ - ١٩٣٧ م) النفسية بأهمية خاصة؛ لأنه يعتقد - على عكس نظرية فرويد - بأن العوامل الاجتماعية هي التي تحدّد تصرفات الإنسان وسلوكياته لا الغريزة الجنسية. ويعتقد بأن الميل إلى التفوق والتطور يكون في الإنسان فطرياً وذاتياً.

وبما أنّ شخصية عنتره. حسب ما وصف نفسه خلال اشعاره. لها قابليّة غنيّة خصبّة للتحليل النفسي؛ لذلك عاجلنا في هذا المقال تحليل شخصية عنتره في ضوء نظرية أدلر النفسية، وذلك وفق منهج وصفيّ - تحليلي. وقد أوجت بعض النتائج على أنّ ما حمل عنتره على إظهار الشجاعة والكرامة والفروسية ليست عقدة النقص التي يعزوها النقاد إلى عنتره بل هو الشعور بالنقص الذي يكون من فطرة الإنسان وذاته ومحركه على الكفاح لأجل التفوق والكمال. فيسعى عنتره لتحقيق هدفه النهائي والمنشود وغايته المبتغاة أي العزة والكمال والتعالي؛ مما أدى إلى أن يتخذ لحياته أسلوباً خاصاً لا يكون إلا نتيجة لهذه الغاية العالية.

الكلمات الرئيسية: عنتره؛ الشعور بالنقص؛ عقدة النقص؛ ألفريد أدلر.

المقدمة

إنَّ الاتجاه النفسي إلى الأدب والفن والاهتمام إلى النقد الفني - رغم ما طرحه "سيجموند فرويد" وتلاميذه من مباحث، وآراء، ونظرياتٍ تمخّضت عن نقاشات عديدة في هذا المجال - قد أدّى إلى كثيرٍ من التطور والتغيير الحاسمين، والنتائج الهامة في مسرح النقد الأدبي. تعتبر العلاقة بين التحليل النفسي والفن (الأدب)، من أهمّ تيارات النقد الفني والأدبي في القرن الأخير.

على أنّه يعتبر فرويد مؤسس علم النفس وفي نفس الوقت هو الذي وضع حجر الأساس للدراسات النفسية في الأدب والفن وعندما تحدّث فرويد عن العقل الباطن أو العقل اللاشعوري^١ ظهرت تطورات عظيمة في مجال النقد؛ لأنّه قبل الكشف عن العقل اللاشعوري كان النقد الأدبي والفني ومعظم دراساته مركّزاً على العقل الواعي^٢ ونيّته، ولكنّه بعد فرويد، اتّجه النقد نحو الكشف عن الضمير اللاشعوري وقراءته (ياوري، ١٣٧٤: ١٧). فقد أصبح النقد النفسي لشخصيات العمل الأدبي وتحليلها - بعد فرويد - موضع اهتمام بالغ من قبل تلاميذه والآخرين من علماء علم النفس، وطرحوه كاتّجاهٍ جديدٍ في النقد الأدبي. ومن بين هذه النظريات، نظرية علم النفس الفردي لألفريد أدلر^٣ (١٨٧٠-١٩٣٧ م). حُظيت بعنايةٍ خاصةٍ لأنّه - على نقيض فرويد - يعتقد بأنّه يرجع الدور الرئيس في تصرفات الإنسان وسلوكياته إلى العوامل الاجتماعية التي تسيّر السلوك البشري وتُعيّن ثغورها، لا الغرائز والدوافع الجنسية (عامود، ٢٠٠١: ٢٨٥). ويرى أنّ الميل إلى التفوق والتطور نابعٌ من فطرة الإنسان وذاته وإثماً الغريزة الجنسية ليست إلّا إحدى العوامل المؤثرة في هذه الفطرة ولكن العامل الرئيس هو الشعور بالنقص (الجبوري، ١٩٩٠: ٤٠). وضّح أدلر خلال نظريته الجديدة بعضاً من المفاهيم كعقدة النقص، وتأثير العلاقات الاجتماعية وبيئة الأسرة في السلوك والتصرفات، والاهتمام الاجتماعي، والغائية في الإنسان، و.. الخ. ومن هنا قدّم نظرية ذات نزعة إنسانية في علاقات الإنسان، وقفت في وجه نظرية فرويد وخالفها (ساعتجي، ١٣٧٧: ١٥).

1. Unconscious
2. Onscious Mind
3. Alfred Adler
4. Sexual Instinct

تشتمل نظرية أدلر المسماة بـ (علم النفس الفردي)، على بعض المبادئ الأساسية والمفاهيم، منها:

(١) الشعور بالنقص^١ (٢) التعويض^٢ (٣) دافع التفوق والكمال^٣ (٤) أسلوب الحياة^٤ -وعي الذات^٥ (٥) الاهتمام الاجتماعي^٦ (٦) الغائية^٧ مبدأ الذات الخلاقة^٨ (الجبوري، ١٩٩٠: ٤٠-٤٣).

بعد هذا التقديم حول أدلر ونظريته فلا غرو أن نذكر ما يهتما في شأن عنتره، وقصة حياته النابعة عن نوع من الشعور بالنقص الذي أدى إلى قوة الكمال والتفوق في شخصيته، مما ينسجم ويتطابق نظرية أدلر النفسية. فعنتره كان يعيش صراعاً عنيفاً بين المعاناة من الشعور بالنقص الاجتماعي في مجتمع قبلي قائم على العصبية وبين علمه بأنه كامل العدة والأداة. وهذه الحقيقة الذاتية واستشعاره هذا تنتفض أمام الوهم الاجتماعي الخاطيء. ومع ذلك هو يعلم بأن الوهم الاجتماعي هو الجانب الغالب والمسيطر، وإنه إذا أراد الوصول إلى أهدافه، لا بد له من إزالة ذلك الوهم بحقيقة تقوم مقام النسب واللباض، وبحقيقة ترغب النفوس والمجتمع على الإقرار بأنه عبي وعرقي بحت.

فرضية البحث وأسئلته

يبدو أن ما يؤثر على أسلوب حياة عنتره في التعويض عن الشعور بالنقص الذي ينبع من سواد لونه وهجنته من جانب، ومن البيئة الاجتماعية والقوانين الحاكمة عليها ومعاملة أقرائه معه خاصة أبيه من جانب آخر، كلها الدافع الاجتماعي الذي يتحدث عنه أدلر في نظريته النفسية. فمن هنا يتجه الشاعر نحو السموّ والعلوّ والعزّة ويرسم أسلوب حياته. لذلك يستهدف هذا المقال أن يحلل حياة عنتره وأسلوبها وسيرتها من خلال أشعاره وفي ضوء نظرية أدلر النفسية مستهدفاً الإجابة عن هذه الأسئلة:

- (١) كيف تؤثر الظروف الاجتماعية والمكانة والنقص الجسمي (سواد الجلد) على شخصية عنتره وكيف تعاطى وتعامل عنتره مع معايير تلك الحقبة الزمنية؟
- (٢) ما هو أهم مظاهر مفاهيم نظرية أدلر النفسية في شخصية عنتره وحياته؟

1. Inferiority Feeling
2. Compensation
3. Perfection
4. Life Style
5. Self-Awareness
6. Social Interest
7. Aim of Life
8. Creative Self

(٣) ما هو الهدف الغائي الذي يتوخاه عنتره وما هو أسلوبه المستخدم توصلاً إلى ذلك الهدف؟

خلفية البحث

من خلال البحث حول الدراسة النفسية لشعر عنتره وصلنا إلى كتاب «أثر اللون في نفس عنتره من خلال شعره: دراسة أدبية نفسية» (١٩٩٥ م.) من لارا عبد الرؤوف أمين شفاقوج، الذي كان في الحقيقة رسالة جامعية تم النقاش عنها في الجامعة الأردنية. ولكن بغض النظر عن الدراسات المستقلة وغير المستقلة التي كتبت حول عنتره في العالم العربي وغيره، نحن أمام دراسات مهمة عاجلت شعر هذا الشاعر من محاور متعددة منها: كتاب «عنتره بن شداد: حياته وشعره» (١٤١١ ق) لمحمد علي الصباح الذي تطرق إلى حياة عنتره وأغراضه الشعرية عامةً. كما يمكن أن نشير إلى عدّة مقالات في هذا المجال، منها: مقالة «بازتاب عفت در شعر عنتره بن شداد» (مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ١٣٨٤ ش) لأمير مقدم متقي، ومقالة «تحليل و بررسی مصداق های واژه فتوت» (فصلية اللسان المبين، ١٣٩١ ش) لمحمد دزفولي وإضافةً إلى ذلك مقالة «تصاویر سپاهیگری در شعر عنتره» (فصلية اللسان المبين، ١٣٩٢ ش) لحسين إيمانان.

إنّ النظرة العابرة إلى هذه الدراسات في كلا الأدبين الفارسي والعربي تبين لنا أنّ الذين درسوا شعر هذا الشاعر الكبير. على كثرتهم. قد احتكروا اهتمامهم على دراسة الجانب الحماسي والمروءة والصفات الأخلاقية لحياة عنتره وشعره وقلّما اهتموا بالدراسة والتحليل النفسي لشخصية هذا الشاعر خلال أشعاره؛ لذلك تسعى هذه الدراسة تسليط الضوء على الجانب النفسي وتحليل شخصيته في ضوء نظرية أدلر النفسية خلال أشعاره. وجدير بالذكر؛ أنّ هناك تشابهاً في المعاني بعض الأحيان وذلك بسبب تداخل المفاهيم بعضها ببعضٍ لقرابتها وقرب الصلة بينها ولكن الكاتب سعى التجنّب عنها على حد الإمكان.

بعد التعرّف الإجمالي الذي سبق ذكره حول نظرية أدلر النفسية، فالآن نوضّح مفاهيم هذه النظرية ونبحث عنها في شخصية عنتره خلال أشعاره:

الشعور بالنقص^١

الشعور بالنقص هو من المفاهيم الأولى التي طرحها أدلر. «لقد نظر أدلر إلى الشعور بالنقص على أنه عامٌّ شاملٌ وأنَّ الفرد يقوم بمحاولات ليعوّض عن الشعور بالنقص وعدم الملاءمة التي ولد معها. إنّ الشعور بالنقص يساعد الشخص على تحسين ظروفه» (الجبوري، ١٩٩٠: ٤١). من ثمّ اعتبر أدلر هذا المفهوم مفهوماً عاماً يتعرّض له جميع الأطفال الصغار مقارنةً مع الكبار. ويقول: يبدأ جميع الأطفال حياتهم وهم يشعرون بالضعف والعجز أمام الذين يحيطون بهم فهم يحتاجون إليهم دائماً؛ أمّا أدلر فوضّح بأنَّ شعور الإنسان بالعجز والقصور يُعتبر قوةً محرّكةً مستنهضةً لسلوك الإنسان تدفعه إلى تحديد مستوى من الطموح يسعى إلى تحقيقه (ناصحي، ١٣٨٦: ٥٦ نقلاً من موساك ومانياجي، ١٩٩٩). وبما أنَّ هذه الميزة تشترك بين كافّة البشر فليست ضعفاً أو ميزةً غير طبيعية. ويعتقد «بأنَّ كلَّ فردٍ ممّا يعاني من مشاعر النقص بدرجة مختلفةٍ عن الآخرين» (أدلر، ٢٠٠٥: ٧٩). ووصل به الأمر إلى حدٍ يقرّ بأنَّ «الحضارة البشرية كلّها قد بُنيت على شعورنا بالنقص» (المصدر السابق: ٨٦).

ولكن يجب علينا أن نعرف بأنَّ الشعور بالنقص يختلف عن عقدة النقص^٢ وهما مفهومان مختلفان؛ حيث إنّ الشعور بالنقص هو أمرٌ إيجابيٌّ وعقدة النقص سلبيٌّ؛ لأنَّ الشعور بالنقص - كما مرّ - هو ميزةٌ مشتركةٌ بين كافّة أفراد البشر وإنّهُ ليس إحساساً عادياً بالضعف بل هو الإحساس العميق بالدونية الذي قد يؤدي إلى عقدة النقص. حيث إنّهُ إذا لم يستطع الفرد التغلّب في حركته نحو العالي والتفوّق على هذا الشعور ولم يتوصّل إلى نتيجةٍ مرضيةٍ، فيودّي ذلك الإحساس إلى عقدة النقص (أدلر، ٢٠٠٥: ٧٧ - ٨٥). إنّ الشعور بالنقص عند أدلر هو العامل الرئيسي والمؤثر في الشخصية (منوچهریان، ١٣٦٢: ١١)، والنتائج عن عوامل داخليةٍ مثل كراهة الوجه والمنظر والنقص الجسدي والضعف واللون وعوامل خارجيةٍ بما فيها مكانة غير مناسبة، وطبقية وتمييز عنصري (عرب، ١٣٩٠: ١١٨).

ففي ضوء ما سبق؛ إن تتأمل في حياة عنتره، فنراه يعيش وينمو في بيئة وظروفٍ تجعله أكثر تعرّضاً للشعور بالنقص، في حين تكون رؤية المجتمع الجاهلي ونظراته إلى العبيد، والإماء، وأولادهم بحيث لم يُقيم لهم أيّ وزنٍ ومكانةٍ؛ لأن المجتمع الجاهلي كان قائماً على وحدة الجنس قبل كلّ شيءٍ وآمنت القبيلة بجنسها. «وذلك لأنّ من الأسس التي قامت عليها القبيلة العربية إيمانُ أبنائها "برابطة الدّم"،

1. Inferiority feeling

2. Inferiority Complex

أي أنهم جميعاً من دم واحد» (خليف، ١٩٧٨: ١٠٣). رغم حرص العربي على الشرف والإصالة في كلا الطرفين من الآباء والأمهات «كان يحدث أحياناً أن يتزوج العربي من أمته ولكن المجتمع الجاهلي كان يرى في هذا الزواج زواجاً غير متكافئ ومن هنا أطلق على ثمره اسماً خاصاً، فسُمي ابن العربي من الأمة «هجيناً». ومن الطبيعي أن هذه الصلة لم يكن يُنظر إليها نظرة احترام ولم يكن العربي يعرف لهؤلاء الإماء مساواة في الحقوق ولا مساواة في المعاملة... ومن هنا كان يستبعدون أولاد إمائهم ويرفضون الاعتراف بهم إلا إذا أبدوا نجابةً ممتازة، فإنهم حينئذٍ يلحقونهم بنسبهم» (المصدر السابق، ١٩٧٨: ١٠٩). يتحدث عنتر دائماً عن عدم اهتمام المجتمع وعنايته به ويعاني من ذلك ويقول:

حَسَنَاتِي عِنْدَ الزَّمَانِ دُنُوبٌ وَفَعَالِي مَذَمَّةٌ وَثَمِيرٌ
وَنَصِيبي مِنَ الْحَبِيبِ بَعَادٌ وَلَعَيْرِي الدُّنُورُ مِنْهُ نَصِيبٌ

(الديوان، ١٩٩٢: ٢٧)

فهو يعيش في مجتمع لا يعترف أفراداً بالشاعر ولا يقدرون حق قدره رغم علمهم بفضلته وحقه ولا يتوجهون إليه إلا عندما اشتدت عليهم الحاجة ويطردونه بعد قضاء الحاجة ويحرقونه:

عَدَمْتُ أَنْاساً وَاتَّخَذْتُ أَقَارِباً لِعَمَوِي وَلَكِنْ أَصْبَحُوا كَالْعَقَارِبِ
يُنَادُونَنِي فِي السِّلْمِ يَا ابْنَ زَيْبَةِ وَعِنْدَ اصْطِدَامِ الْحَيْلِ يَا ابْنَ الْأَطَايِبِ

(المصدر السابق: ٣٥)

فيمكن أن نرى في هذه الأبيات مدى تأثير الإهمال^١ الذي تعرّض له الشاعر في طفولته وما يزال يتعرّض له، مما يؤدي - حسب رأي أدلر - إلى خطأ في فهم معنى الحياة. ويقول: «إن المجتمع في نظر مثل هؤلاء الأطفال مجتمع بارد بلا مشاعر وعدواني إلى درجة كبيرة، والشيء المهم هنا هو أنهم يؤمنون بعجزهم عن اكتساب صداقة وتعاطف هذا المجتمع مهما فعلوا، ولهذا فإنهم يبقون على تشككهم في الآخرين» (أدلر، ٢٠٠٥: ٣٩).

العامل الآخر الذي أثّر على شخصية عنتر هو القبيلة وأقرباؤه خاصة أبوه شداد وتعاملهم مع عنتر، رغم كل ما يقدم إليهم من البسالة والشجاعة والمروءة في ساحتي القتال والجود؛ في حين

1. Neglect

ينظرون إليه نظرة الاحتقار ويزدرون به، حيث يشكو من ذلك مرّات عديدة وهكذا يبتّ شكواه:

بنيْتُ لهم بالسَّيفِ مجداً مُشيداً فلمّا تناهى مجدهم هدموا مجدي
يعيِّونَ لوني بالسَّوادِ وأنما فعالمهم بالحُبِّثِ أسودَّ من جلدي

(الديوان، ١٩٩٢: ٥٩)

وفقاً لنظرية أدلر يمكن أن نعتبر العاملين المسبوقين من الأسباب الخارجية المؤثرة في شخصية عنتره، فضلاً على ذلك يحمل سواد جلد عنتره - بوصفه أبرز العوامل - دوراً هاماً في الشعور بالنقص؛ لأنّ سواد الجلد هو العامل الذي يحرض عنتره على إثبات شخصيته ويحمّله على التفوّق على الآخرين من جانبٍ ومن جانب آخر هو المؤشر الرئيس الذي يقاس به عنتره في مجتمعه بالنسبة إلى الآخرين. وفقاً لنظرية أدلر أدت هذه الأسباب إلى اليأس والكبت النفسي في عنتره.

يعتقد أدلر بأنّ عقدة النقص في الطفل تنبع من مصادر ثلاثة: (١) النقص العضوي (٢) التدليع (الدلع) (٣) عدم العناية (شولتز، ١٣٧٧: ١٣٩). أمّا الشعور بالنقص في عنتره فيرجع إلى النقص الجسماني (سواد الجلد) وعدم العناية من قبل المجتمع أو الوالد والأقارب. من ثمّ يمكن القول بأنّ طرد الشاعر وعدم العناية والاعتراف به من قبل المجتمع والعائلة من جانبٍ، وسواد الجلد والهجنة من جانب آخر، تعتبر من أهمّ الأسباب لإيجاد الشعور بالنقص ونموّه في ضمير الشاعر.

التعويض^١

«يعلن أدلر بأنّ الشعور بالنقص هو مصدر جميع جهود الإنسان وكفاحه. وما النجاح، والتّقدم، والنمو، والتنمية، والتطور إلّا نتيجة للتعويض من الشعور بالنقص؛ يعني يصدر عن الجهود والكفاح للتغلب على مركّبات القصور^٢ والاحتقارات الحقيقية والخيالية» (شولتز، ١٣٧٧: ١٣٩). فطرح أدلر فكرة أو مفهوم التعويض كحيلة أو آلية دفاعية^٣ لتغطية الشعور بالنقص وتحقيق التفوق.

يجرّب الفرد في مواجهة الشعور بالدونية والوصول إلى غايته المنشودة حالتين: (١) عقدة النقص (٢) التعويض. «عندما أراد الفرد التخلّص من الشعور بالنقص، إذا لم يتحقّق له ما يرومه من الوصول

1. Compensation
2. Inferiority Compelx
3. Defense Mechanism

إلى التعالي، وأخفق في التغلب على هذا الإحساس (الشعور بالنقص) لأي سبب، فستعقد الظروف عليه وتنتهي إلى ضرب من آلية (حيلة) التكيف النفسي الناقص المسمى بعقدة النقص» (فريجي، ١٣٥٢: ٦٦). إذا أمعنا النظر في الآليات الدفاعية، سنواجه ضرباً من ردّة فعل تُدعى التصعيد أو الإعلاء [التسامي]. يشتمل التصعيد على التصرفات التي تنحدر من العقل الباطن (العقل اللاشعوري)، ويكون طبيعياً على الإطلاق (عرب، ١٣٩٠: ١١٩). «ويعتبر [التصعيد] أو الإعلاء من الحيل أو الآليات الدفاعية التي يتم بموجبها تحويل الطاقة أو الحافز من المهدف البدائي غير المقبول إلى هدف أسمى من الناحية الثقافية والأخلاقية، مثل تحويل الدافع الجنسي إلى نشاط علمي أو فني أو رياضي متميز» (الشربيني، لاتا، ١٨١).

أمّا الحالة الثانية التي تهمّنا في هذا البحث فهو التعويض؛ يواجه فيها الفردُ الشعورَ بالدونية ويغلب عليه ويجزّب الميل إلى العلوّ والتعالي، ويقدر فيها على الكشف عن مواهبه الذاتية وتوسيعها. الشعور بالدونية يجعل الفرد على أن يسعى دائماً لكي يعوّض عن هذا الشعور ولكن هذه الآلية التعويضية المستخدمة تختلف باختلاف الأفراد. ففي آلية التعويض يُصنّف الأفراد إلى فئتين: الفئة الأولى، هم الذين يُخفون نقصهم عن الآخرين في غالب الأحيان والفئة الثانية، هم الذين قلّموا يهتمون برأي الآخرين ولا يقيمون لهم وزناً (ناصحي، ١٣٨٦: ٥٧).

ففي ضوء ما سبق ذكره، تندرج شخصية عنتره ضمن الفئة الثانية؛ لأنّه لا يهتم بمجمّعه والذين يُعيرونه مراراً على سواد جلده وهُجنته، بل أصبح يُعَدُّ خصائصه وفضائله بالصبر والحلم. كما يطلب من حبيبته عبله أن لا تُصدّق هذه الأقوال التافهة والمزيفة ويدعوها أن تسمع الحقيقة من لسان عنتره أو الذين حضروا ساحة القتال وشهدوا على ما فعله من المكرمات والشجاعة والعفة ويقول:

أَعْلَلُ بِالْمَنْى قَلْباً عَلِيّاً وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَإِنْ تَمَادَى
يُعَيِّرُنِي الْعَرْدَى بِسَوَادِ جِلْدِي وَبِضُخْصَائِلِي تَمَحُّو السَّوَادَ
سَلِي يَا عِبِلَ قَوْمِكِ عَنْ فِعَالِي وَمَنْ حَضَرَ الْوَقِيعَةَ وَالطَّرَادَ

(الديوان، ١٩٩٢: ٤٩)

أمّا سواد لونه فيعتبره فضلاً على الآخرين وينظرُ إليه كعاملٍ إيجابيٍّ يُعِده عن الفحشاء والزنا:

1. Sublimation

لَعْنُ أَكْ أَسْوَدًا فَاَلْمَسَاكُ لَوْنِي وَمَا لِسَوَادٍ جَلَادِي مِنْ دَوَاءٍ
وَلَكِنْ تَبْعُدُ الْفَحْشَاءُ عَنِّي كَبْعُدِ الْأَرْضِ عَنِ جَوْ السَّمَاءِ

(المصدر السابق: ٢٢)

فبناءً على نظرية أدلر، فإنَّ الفردَين الذين يعانون من عاهةٍ مشتركةٍ أو نقصٍ واحدٍ فلا يستويان في كيفية الإجابة والتعامل لإختلاف قدرتهما واستطاعتهما. يمكن أيضاً تصنيف الأفراد حسب آلية التعويض والتعاطي معها إلى الفئات التالية: (١) التعويض في ناحية الضعف والعجز نفسها (تعويض النقص أو العجز الذي يشكو منه): يعني أنَّ الفرد يسعى أن يَكَيِّف نفسه مع ناحية يعاني منها لكي يُزيلَ نفس المرض الذي اعتراه. (٢) التعويض في الناحية الأخرى (٣) التعويض الإفراطي (عقدة الاستعلاء) (ناصري، ١٣٨٦: ٥٨، نقلاً عن موساك ومانياجي، ١٩٩٩).

بلا شكَّ قد واجه عنتره في حياته مشاكلَ عديدة وصعوبات شديدة منها: بيئةٌ غيرُ مناسبةٍ وظروف اجتماعية مؤلمة، وعدم التمتع بعناية الأب ودعمه، واستخدامه في الأعمال النافهة والبسيطة كرعِي الإبل والماشية والحلاب والصرّ، وعدم الاهتمام الاجتماعي والمكانة المرضية، والنفاق والمكر والخداع، والتمييز الطبقي، والتعرض إلى الزجر المفرط والانتهاز، والتهكم، والاستهزاء، والقسوة، وما شاكلها كلّها كانت من المشاكل والمفارقات والتناقضات التي يشير إليها عنتره، لذلك فهو في طريق التعويض من هذه الظروف السيئة والمفارقات يبدأ بنقد مجتمعه لا بصورة مباشرة بل عبر التعامل والعلاقة مع الفرس (الحصان) والعُدَد الحربيّة خاصّة السيف والرمح من خلال إحصاء صفاتها ودورها النافع والمهم، وهكذا يسعى للتعويض عن نقصه وألمه ومشاعره الوجدانية المكبوتة. عندما يعرف عنتره بأنّه يعيش في مجتمع لا يقترب منه أحدٌ ولا يهتمّون به بسبب مكانته الاجتماعية ومقامه، ويرى أنّهُ يتمكن من أن يعرض قدراته ومواهبه ويثبت شخصيته الحقيقية خلال علاقته مع الآخرين، فلهذا يميل إلى أشياء غير إنسانية كالسيف والرمح والفرس والعدد الحربية ويقوم بإيجاد العلاقة مع هذه الأدوات والعدد. فهذا الميل والنزعة إلى أشياء غير إنسانية واحدٌ من أساليب تعويضية عند عنتره. كما نشاهد مراراً يعقد صلة القرابة والعلاقة النسبية بينه وبين الأدوات الحربية خاصّة سمر القنا، فيتحدث خلال أشعاره عن تلك القرابة، مما يكون نوعاً من ردّة فعلٍ ومقابلةٍ في وجه قبيلته وأبيه الذي لا يعترف به ولا يلحقه بنسبه:

1. Superiority Complex

وَلَيْسُمِرَ الْقَنَّا إِلَيَّ اِنْتِسَابٌ وَجَوَادِي إِذَا دَعَانِي أُجِيبُ

(الديوان، ١٩٩٢: ٢٨)

وفي مواضع أخرى يظهر عنتره بطولته، وشجاعته، ومروءته، وعفته، وسائر صفاته الإنسانية المثالية تعويضاً عن مشاعره المكبوتة ويأسه الروحي النابع عن نقصه الجسمي؛ ويقوم ببعض من الأفعال التعويضية التي تؤدي إلى اكتساب مقام يصعب وصوله على الآخرين، ولا سيما أن «المجتمع القبلي قائمٌ قبل كل شيء على القوة المادية والمعنوية فالطريقة الوحيدة هي أن يرتفع إلى أعلى قمة بطولية ومعنوية» (الفاخوري، ١٣٨٥: ج ٢: ٢٠٧). لذلك استخدم عنتره كل ما لديه من السيف، والرمح، والترس، ولسانه للتغلب على معاناته الروحية، واشترى حريته بسيفه، وترسه، ويراغه (لسانه) الشعري، وأثبت أن الإنسان صانعٌ نفسه، وصاحبٌ مصيره، بغض النظر عن أصله وفصله، وجنسه، ولونه، وشكله. ويرفض الذلة والهوان ويطلب العز والعلو. إذن يمكننا أن نلخص هذه الأعمال والأفعال في عمليتين تعويضيتين: (١) الشجاعة، والبطولة، والبهلوانية (٢) العقّة والحياء (سيأتي المزيد من البحث عنها في قسم أسلوب حياة عنتره).

هذا وإن عنتره يسعى مستخدماً هذين العنصرين لكي يعوّض عن كبتة ويأسه الروحي؛ حينئذٍ يتبدّل بفعل قوة الإرادة والرغبة في التفوق وتحقيق الذات إلى بطلٍ قبيلته الذي يعترف الجميع بشجاعته ومروءته ويكرمونه حتى يخزّ جبابرة العجم والعرب سُجّداً لسيفه:

تُخَلِّقُ لِلْحَرْبِ أَحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ وَأَصْطَلِي نَارَهَا فِي شِدَّةِ اللَّهَبِ
بِصَارِمٍ حِينَ جَرَدْتُهُ سَجَدَتْ لَهُ جَبَابِرَةُ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ

(الديوان، ١٩٩٢: ٣٦)

دافع التفوق والكمال^١

يؤكد ألفريد أدلر خلال نظريته كثيراً على الكفاح من أجل التفوق للتعويض عن مركّب القصور. ويرى بأن تحقيق التفوق هو الهدف النهائي الذي نعمل لأجله ونكافح للوصول إليه. يطرح أدلر مفهوم الكفاح من أجل التفوق والذي يقصد به «أن تكون حياتنا حركة مستمرة للأمام وللأعلى وتحقيق

الذات وبلوغ كمالها وهو فطري ويصفه بأنه دافع ديناميّ تصدر عنه كلّ الدوافع الأخرى بطرقٍ مختلفة تناسب كلّ شخصٍ» (موسى، ٢٠٠٢: ٢٢). «يرى أدلر بأنّ الكفاح من أجل التفوق هو الحقيقة الأساسية للحياة وليس حركةً فرديةً فحسب بل حركةً جماعيةً» (ناصر، ١٣٨٦: ٥٧).

لم يكن أدلر يقصد من التفوق مفهوماً عادياً لهذا المصطلح ولم يكن هذا المفهوم مرتبطاً بعقدة الاستعلاء، ولم يرد به التفوق على الآخرين، بل ما قصد به أدلر من مفهوم التفوق هو الكمال. فيعتقد أدلر بأنّ الكمال هو الأصل لا التفوق، وكلّ الجهود المبذولة للتفوق ترمي إلى الكمال وتحقيق الذات (شولتر، ١٣٧٧: ١٤١).
والآن نعود إلى عنتره لكي نعرف ما هو كماله المتوخى وعمّا يسأل كماله؟. من خلال التمعن في أشعاره نرى أنّه يكرس جميع ما لديه من الجهد، والبسالة، والشهامة لإثبات شخصيته الحقيقية لمجتمعه وإزالة نير العبودية عن عاتقه ونفض غبار المهجنة والتهمة عن وجهه مما أنزلته الظروف الاجتماعية والقوانين والاعتقادات الخاطئة بحق هذا البطل الشجاع. هكذا يتحدث عن نيّته:

مَا زِلْتُ مُرْتَقِيًّا إِلَى الْعَالِيَاءِ حَتَّى تَلْعَنَتْ إِلَيَّ دُرَى الْجُوزَاءِ
فَهَآكَ لَا أَلْوِي عَلَى مَنْ لَا مَنِي خَوْفَ الْمَيَاتِ وَفِرْقَةِ الْأَحْيَاءِ
(الديوان، ١٩٩٢: ٢٢)

إنّه يعرّف شخصيته في شعره ويقدمها باستخدام المفردات والصفات التي تدلّ على العلوّ والتفوق ويخطو في طريق كماله والتعويض عن مشاعره المكبوتة ويأسه الذي سبق ذكره.
كما يبدو أنّ الوصول إلى عتبة عند عنتره يُعتبر نوعاً من الكمال؛ لأنّها - كما يقول في شعره ويصفها - كانت من أجمل نساء قومها في نضارة الصبا وشرف الأرومة (الصباح، ١٤١١: ٧٧)، وكانت في الجمال والحسن عنده رمز الكمال وفي الحقيقة قد أحدثت في ذهن عنتره عنصراً نهائياً وهدفاً غائياً. وفي المقابل يطلب من عتبة لكي تنظر في مهارته الحربية وشجاعته التي بلغ ذروتها لا تنظر في عيوبه ونقائصه. وخلال سعيه إلى المقام العالي والمكانة المرموقة ينشد هكذا:

يَا عَيْلَ قَوْمِي فَاَنْظُرِي فَعَلِي وَلَا تَسْلِي عَنِّي الْحَسُودَ الَّذِي يُنْبِيكَ بِالْكَذِبِ
إِذَا أَقْبَلْتُ حَدَقُ الْفَرَسَانِ تَرْمُئَنِي وَكُلُّ مِقْدَامٍ حَرْبٍ مَالٍ لِلْحَرْبِ
(الديوان ١٩٩٢: ٣٦)

يعرف عنتره جيداً إذا أراد عتبة ووصلها، فلا بدّ أن يزيل نير العبودية عن عاتقه بكل جهد وكفاح في ساحتي القتال والمروءة والإنسانية وهذا هو الطريق الوحيد الذي بقي أمامه، فحينئذٍ يأمل أن تُغمض عتبة سواد جلده ولا تُدير بوجهها عنه. تضافرت كلّ هذه الأسباب وأدّت إلى اتّخاذ ضربٍ من

أسلوب الحياة عند عنتره الذي يختص به وليس إلا نتيجة ذلك الحرمان ومطالبه.

الاهتمام الاجتماعي^١

لقد أكد أدلر على أهمية القوى الاجتماعية في تحديد السلوك، فهو يعتقد بأن الإنسان اجتماعي بطبعه منذ الولادة ويعتبر هذه الميزة فطرياً وذاتياً (كريمي، ١٣٧٧: ٩٦)، وهي التي تمكن الفرد من الانتساب لبقية الناس وتضع المصلحة الاجتماعية فوق المصالح الذاتية. «ولعل الشيء الذي يميز نظرية أدلر إلى جانب هذا الباحث هو اهتمامه بالجانب الاجتماعي. فالدوافع اللاشعورية، في تصوّره، لا يمكن أن تقدّم بمفردها فهماً مكتملاً للطبيعة البشرية؛ إذ لابدّ من تفاعل عالم الشخصية الباطني بالعلاقات الشبئية الموضوعية، وبخاصة العلاقات الاجتماعية؛ لأن الفرد، في رأيه، ليس كائناً معزولاً عن وسطه الاجتماعي، يتصرّف بما يُمليه عليه نزوعه الفردي ودوافعه اللاشعورية» (المختاري، ١٩٩٨، ١٤ نقلاً عن فاليري، د.ت: ص ١١٣ وما بعدها).

يعتقد أدلر بأن الهدف وراء التفوق هو اجتماعي؛ بأن يعمل الإنسان كفرد في المجتمع ولصالح المجتمع وباعتبار أن المجتمع قوة له. واعتمد في ذلك على أن الإنسان اجتماعي بطبعه منذ الولادة ومن ثم يأخذ التفوق طابع اجتماعي، و يتمثل الكمال في المثل العليا الاجتماعية ويعوّض الفرد عن ضعفه الفردي بأن يعمل لصالح الجميع (العامة)، وهذا الجانب يحتاج الى تدريب وهو ما تقوم به التربية (موسى، ٢٠٠٢: ٢٤ و ٢٥). «فليس هناك ما يذهب بطمأنينة الفرد مثل شعوره بأنه مكروه أو منبوذ من جماعته وهي حاجة يرضيها شعور الفرد بأن له قيمة اجتماعية وأن وجوده وجهوده لازمان للآخرين، كما أنها تبدو أيضاً في حبّ الانسان للثناء وشوقه إلى الظهور، وحبّه للترغم والتفوق» (عزت راجح، ١٩٦٨، ٨١).

يتمثل الكفاح لأجل التفوق عند الذين يتمتعون بالصحة والسلامة في الشعور الاجتماعي والتعاون والجرأة والتنافس (بروين، ١٣٧٢: ١٧١). يميل كل فرد إلى التفوق والكمال ولكن الأفراد العاديون، إلى جانب هذا الميل، يتمتعون حساً اجتماعياً يُدعى المشاركة؛ لا يتمتعه المصابون بال"عصاب"^٢ الذين يميلون إلى العزلة ولا يحبّون الاجتماع (ناصحي، ١٣٨٦: ٦٠).

1. Social Interest

2. Neuroses

العلاقة الاجتماعية هي عملٌ انفعاليٌّ أو عاطفيٌّ تضامني بيننا وبين افراد البشر، وكما يقول أدلر تشمل على: المراقبة، والتعاون والتضامن، والخلاقية، وغيرها (المصدر السابق؛ ٦٠).

ولكن نرى في شخصية عنزة بأنه يتمتع من روح اجتماعيٍّ سامٍ، رغم كل ما ارتكب المجتمع الجاهلي وقبيلته من الظلم والإحتقار بحقّه. حيث إنّه لا يطردهم ويقف إلى جانبهم ولا ينسى فضلهم ونعمتهم عليه. ذلك يرجع إلى روحه الاجتماعي العالي. وهكذا يهتف بدعمه:

سَكْتُ فَعَرَّ أَعْدَائِي السَّكُوتُ وَظَنَوْنِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيْتُ
وَكَيْفَ أَنَا عَنْ سَادَاتِ قَوْمٍ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَيْبْتُ

(الديوان، ١٩٩٢: ٣٨)

عنزة فارس المروءة الأكيدة فإذا غلط مجتمعُه معه، فإنّ له نفساً باذخة تسعى حثيثاً إلى فرك الأنوف وإرغامها على الاعتراف به، «هو إنّ الفقير الثري والعبد الحر والمنبوذ المعشوق والمهجور الموصول... قد عادل الانكسارت بالصمد الإنساني الجبار ولكن جبروته لم تسوّغ له فكرة الانفصال عن القبيلة أو الجماعة وإن كانت أسباب الانفصال قائمة» (الصائغ، ١٤٠٩: ٤٦). بل يعلن عن دعمه وصيانيته عن قومه حتى نهاية حياته ويقول:

وَأَحْمِي حِمِّي قَوْمِي عَلَى طُولِ مُدَّتِي إِلَى أَنْ يَرَوْنِي فِي اللَّفَافِ أَدْرُجُ

(الديوان، ١٩٩٢: ٤٢)

أسلوب الحياة^١

لقد استخدم أدلر أسلوب الحياة كمصطلح مهمّ في علم النفس الفردي ليؤكد الطبيعة الذاتية لكفاح الفرد من أجل تحقيق أهدافه التي يسعى من خلالها للتميز في الكمال. وهو يقصد بذلك أهداف الفرد والطرق التي يتبعها لتحقيق تلك الأهداف. أسلوب الحياة فكرة تجريدية تتضمن كلّ شيء من الحياة في نطاق بعض الخطط المميّزة أو وسائل الوصول إلى الهدف، إنّها النوعيّة الفريدة للشخصية التي تجعل كلّ فرد يختلف عن الآخر. واستناداً إلى رأي أدلر، إنّ الأهداف الإنسانية متشابهة من حيث الأساس وإنّها تنضوي في الميل إلى الكفاح من أجل التفوّق. إنّها طرق متشعبة للوصول إلى هدف الحياة. إنّ هذه الطرق المتعددة التي تحاول

الوصول إلى هدف الحياة تمثّل أسلوب الحياة الفريد للشخص (الجوري، ١٩٩٠: ٤٢).

يؤمن أدلر بأنّ الهدف النهائي لدى الإنسان هو الكمال ولكن نختلف في التصرفات وأساليب الوصول إليه؛ أي إنّنا نمارس نمطاً متميّزاً من الخصائص، والأعمال، والتصرفات، والعادات التي يطلق عليها أدلر أسلوب الحياة أو الطابع المتميّز (قبادي، ١٣٨٨: ١٠٢). في الحقيقة يمكن القول بأنّ أسلوب الحياة هو الأنماط السلوكية التي يقوم بها الفرد تعويضاً من الشعور بالنقص.

الأسلوب الذي يتّخذه عنتره للتعويض عن نقصه -أي عدم الاعتراف به- هو القتال والبطولية. وهذا الهدف عنده يُجعل في مقدمة أهدافه ويهتم به إلى حدّ كبير؛ فعندما يواجه مخالفة أبيه في الاعتراف به، يترك مقاتلة الأعداء المهاجمين على قبيلته ويأبى أمر أبيه، ولكن عندما يُبشّره بالحرية مقابل كرهه ويُوعده "بكرّ وأنت حرّ" يقبض سيفه ويقاتل المهاجمين ويدمرهم إثباتاً لشخصيته. لذلك نرى بين هدفه وأسلوب حياته تناسقاً تاماً وعلاقة لا انفصام لها. رغم أنّه كان مذموماً ومطروداً عند الناس لسواد لونه ولكنّه الآن، نرى هذه الخصيصة القيّمة جعلته بطلاً منقذاً قد عاد إليه شرفه وشخصيته وزال شؤمُهُ وعيبه. إنّهُ يسعى أن يقوم بأعمال خاصّة تَمُنُّهُ الأفضليّة والعلو في الآخرين ويبدل قصارى جهوده لكي يزيل نقائصه إلى أن ينتهي به الأمر إلى حدّ يعود إليه قومه -رغم تناسيهم إياه- عندما تشتدّ عليهم الوقائع والدوائر فيستنجدون به:

سَيَدُكُرْنِي قَوْمِي إِذَا الْخَيْلُ أَصْبَحَتْ تَجُولُ بِهَا الْفُرْسَانُ بَيْنَ الْمَضَارِبِ
فَإِنْ هُمْ نَشُونِي فَالْصَّوَارِمُ وَالْقَنَا تُدَكِّرُهُمْ فَعَلِي وَوَقَعَ مَضَارِي

(الديوان، ١٩٩٢: ٣٥)

في الحقيقة كان أسلوب حياة الشاعر هو التعلّق بالعدّة الحربية والفتوة والعفة والمروءة. فنرى بينه وبين هذه الأدوات نوعاً من الاختلاط والارتباط التام (التماهي) الذي يدفعه على نقد مجتمعه والمهجوم على اعتقاداته الخاطئة خلال ذكره للأداة الحربية. مثلاً عندما يريد أن يشكو من النفاق والغدر في المجتمع، يذكر الرمح ويصفه بالرّسول الصادق وأمين السرّ الوفيّ والحاسم للأمور:

وَ مِنْ أَيْنَ تَدْرِي الدَّارُ أَتَكَ عَاشِقٌ أَوْ عِنْدَهَا خَيْرٌ بِأَتَكَ مُبْتَكَى
وَ اللَّهُ مَا يُمِضِّي رَسُولاً صَادِقاً إِلَّا السِّبْنَانُ إِذَا الْخَلِيلُ تَبَدَّلَا

(المصدر السابق: ١١٣)

و في مكان آخر يستخدم سيفه بمساعدة التشبيه كوسيلة لنقد المجتمع وعاداته ومعتقداته السيئة

ويرفض ما تعتقد به القبيلة وأصحابها. يقول:

وليسَ يَعِيبُ السيفَ إِخْلَاقُ غِمَاهِ إِذَا كَانَ فِي يَوْمِ الْوَعَى قَاطِعَ الْحَدِّ

(المصدر السابق: ٥٩)

«إنَّ ظاهرَ هذا البيتِ حكمةٌ يَقْصُدُ منها الشاعرُ الحديثَ عن السيفِ والغمدِ، ولكنه في حقيقته حديث عن الجوهر والعرض، أو الثابت والمتغير، يشتمل الحديث عن السيف والغمد حديث عن الغمد وهو عنصرٌ خارجيٌّ وعن السيف وهو شيءٌ داخليٌّ، والحق أنَّ حديثَ عنتره هنا إنما هو مقابلة رمزية لقضية الخارج والداخل التي شغلته، أي حديث عن الغمد البالي أو الخارج المتمثل في اللون الأسود، وهو أمر لا قيمة له، وإنَّما القيمة لداخل السيف، أو جوهر الإنسان الذي يظهر في سلوكه وأفعاله. ويميل عنتره إلى تفضيل الجوهر على العرض، والثابت على المتغير، وفي هذا يتعرض عنتره إلى معضلة اللون التي تقلقه وتؤرق عليه وجدانه» (الواللي، ٢٠٠٢: ١٣٩).

بالإضافة إلى البطولة والشجاعة التي حملت عنتره على الاجتهاد للتحرُّر؛ «تدخل عاملٌ آخر في حياة عنتره غير مجرى حياته وقلبها رأساً على عقب وأشعل طموحه إلى التحرُّر، إنَّه الحب الذي تسلَّل إلى قلبه وجعله يزداد رغبة في الحياة وتعلُّقه بها» (هميج: ١٩٨٠، ٢٤). لقد تعلَّق عنتره بأمل عزيز المنال. مع أنَّ عبلة كانت تكنُّ له مثل ما يكنُّ لها من الحب إلا أنَّ العاشقين لم يكن بوسعهما أن يوحا بشيء من هذا الحب لأحدٍ لوجود تلك الحواجز التي تحول بينهما. ولم يكن أمام عنتره إلا شجاعته وسيفه. في الحقيقة يقصد عنتره من وصال عبلة إلى غرضين رئيسيين: الوصول إلى حبيبته وطلبه الروحي من جانب، والاعتراف به في المجتمع من جانب آخر. فنرى من هذا المنطلق يتوجه الشاعر إلى الوسيلة الوحيدة التي كانت لديه ويتكل عليها وهو القوة الجسمية وشجاعته في مقابلة الأعداء، لذلك نراه كلما يتحدث عن عبلة يردفها بذكر ساحات الحرب والبطولات التي حَضَرَهَا وحاضها وصموده أمام الأعداء ومهاراته الحربية خلال ذكره لصفات حبيبته عبلة وفراقها وظلمها إياه، في المقابل قلماً يهتم بجمال محبوبته وحديثها والتغزل بها و- في غالب الأحيان- ينظر إلى نفسه والخصائص الأخلاقية الإيجابية لديه وقوته الجسمية. «ولذلك نرى في غزله نوعاً من النرجسية اللاوعية واللاشعورية يصدر دون شك عن الشعور بالاحتقار والفشل والضعف من قبل المعشوقة وقبيلتها خاصة المجتمع الجاهلي. ولذلك لا بد من إثبات وجوده وتوكيد الثقة بنفسه وكان هذا سبب غلو عنتره في فخره» (إيمان، ١٣٩٢: ٤٣).

يبدو أنَّ الهدف الرئيسي والغائي الذي يحتمل عنتره لأجله كل هذه المصائب والمعاناة هو العزَّة

والكمال فيها؛ الهدف الذي يرسم أسلوب حياته هذا ويبنى جميع آماله عليه.

الغائية^١

الغائية هي الهدف الأسمى والأساسي في حياة الفرد، ولكل فرد هدفٌ نموذجي يتجه إليه في كل وضعٍ جديدٍ ولا سيما حينما يقع في مشاكل الحياة سواءً كانت اجتماعية أو مهنية أو عاطفية. «فالغائية من الخصائص الأساسية التي تميز سلوك الكائنات الحية عن حركة الجمادات. وهي التي تجعل سلوك هذه الكائنات يتسم بالمرونة والتغير والتنوع والقابلية للتكيف وفق الظروف المتغيرة» (عزت راجح، ١٩٦٨: ٤٨). أسس أدلر نظريته - كما فعل كارل جوستاف يونج - على أساس العلة الغائية. لذلك يعتقد - خلافاً لنظرية فرويد - أن ما يحدد سلوكيات الإنسان هو أهدافه، وإن لم يكن غافلاً عن ماضي الفرد، ولكنه يعتقد بأن الماضي ينحصر على ما فعله الفرد ويُحدد حدود العمل الذي أنجزه الفرد فقط؛ لكن ما يعين كيفية عمل الفرد وتصرّفه وسلوكياته هو المستقبل وهذا ما يؤكّد عليه أدلر (موسى، ٢٠٠٢: ٢١ و ٢٢). لذلك يخالف إدلر فرويد في إصالة الغرائز، و في تعيين السلوك، ويرى أن السلوك البشري تابعٌ للأهداف الآتية [الكمال والتفوق] (كريمي، ١٣٧٧: ٩٧).

والآن نعود إلى عنتره لكي نرى ما هو هدفه الأسمى والأساسي الذي يجازف بحياته لأجله ويسرع إلى ميادين القتال المخيفة متهوراً ومغامراً في طلبه. إذا كنّا نعتقد بأنّ عبلة ووصالها هو ذاك الهدف المنشود، فقد أخطأنا؛ لأنّه لم يتحقّق ذلك له، وإن كان الهدف هو إثبات شخصيته والإعتراف به فذلك أيضاً لم يتسنّ له بالكامل كما يليق ببطلٍ بارعٍ ومنقذٍ لقبيلته وما قدروا حقّ قدره. «فيجب أن نبحت عنه في شيءٍ آخر يكون الاعترافُ بشخصيته والوصولُ إلى الطبقة الأولى للمجتمع وحتى تكون عبلة ووصالها من دونه وأقلّ شأنًا منه ويعتبر كل هذه الطموحات مقدّمةً له. وليس ذاك الهدف إلّا العزّة والكمال والوصول إليه؛ حيث يجعل عنتره كلّ هذه المطالب والطموحات وسيلةً لاكتسابه وكلّ الأشياء أمامه شيئاً هامشياً.»

رغم كلّ ما يحتمل عنتره في طريق حبّ عبلة من المصائب والإزدراء والتحقير، لا يجعل عبلة الوصول إليها في الرتبة الأولى من أهدافه المنشودة، بل يشعر بالافتقار إلى مطلوبٍ آخر تكون عبلة دونه ويجعل حبّ عبلة شيئاً هامشياً أمامه وهذا هو اكتساب العزّة والمجد الذي يستخدم الشجاعة

والبطولية للوصول اليها، مخاطباً عبلة بأن دولة الجمال والزينة لا تدوم ويقول:

عَيْبِلَةُ أَيَّامُ الْجَمَالِ قَلِيلَةٌ لَهَا دَوْلَةٌ مَعْلُومَةٌ ثُمَّ تَذْهَبُ
فَلَا تَحْسَبِي إِلَيَّ عَلَى الْبُعْدِ نَادِمٌ وَلَا الْقَلْبُ فِي نَارِ الْعَرَامِ يُعَذِّبُ
وَقَدْ قُلْتُ إِنِّي سَكُوتٌ عَنِ الْحَوَى وَمَنْ كَانَ مِثْلِي لَا يَقُولُ وَيَكْذِبُ
لَقَدْ دَلَّ مَنْ أَمْسَى عَلَى رِيعِ مَنْزِلٍ يُنْشِئُ عَلَى رَسْمِ الدَّيَارِ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ فَازَ مَنْ فِي الْحَرْبِ أَصْبَحَ جَائِلًا يَطَاعَنُ قَرْنًا وَالْغِبَارُ مُطْلَبُ

(الديوان، ١٩٩٢: ١٣)

و في مكان آخر يقول بأنّ طلب العلياء والوصول إلى الرتب العالية يمكن أن يقنع عبلة ويُرَيل عنها الاضطراب والغضب، يرى أنّ «كلّ صيدٍ في جوفِ الفرا» وإذا بلغ العزّة والسموّ، فسترضى عنه عبلة وتعتنق طلبه:

دَعْنِي أَجِدُّ إِلَى الْعَلِيَاءِ فِي الطَّلَبِ وَأُبْلُغُ الْغَايَةَ الْقُصَوَى مِنَ الرَّتَبِ
لَعَلَّ عَبْلَةً تُضْحِي وَهِيَ رَاضِيَةٌ عَلَى سَوَادِي وَتَمُخَّوْ صُورَةَ الْعَضْبِ

(المصدر السابق: ٣٦)

ما يُلفت النظر في شعر عنتره تشبيه جماليات عبلة وجوارحها بالأدوات الحربية، ربّما يريد أن يقول إنّ هذه العشيقات عندما تضافر بعضها على بعضٍ يمكن أن تُوصِلَ الشاعر إلى الرتبة الأولى التي يتوخّاها فتُعطيهِ العزّة والمقبولية. لذلك يمكن أن نقول بأنّ العزّة هي المحور والخيوط الذي يربط بين عبلة والأدوات الحربية وساحات القتال التي يُكثر عنتره ذكرها في شعره. على سبيل المثال تشبيه لمعان السيوف بشعر عبلة، حيث يقول:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالزَّمَاحُ نَوَاهِلُ مَتْنِي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السَّيْفِ الْأَتَمَا لَمَعَتْ كَبَارِقُ ثَعْرِكَ الْمَتَبَسِّمِ

(المصدر السابق: ١٩١)

رغم أنّه لم يتحقّق له الوصول إلى عبلة وخيّبت آماله ولكنّه أخيراً اكتسب حبّاً عذرياً طهراً ممزوجاً بالحياء والعفة وبلغ ذروته؛ مما أدّى إلى خلود ذكره وعزّته التي كانت الهدف الأول والمنشود له. لا يتحدّث عنتره عن صفاته العالية والشريفة إلّا لأجل ذلك الهدف العالي وحصوله عليه. فالصفات التي إذا اجتمعت في الإنسان تمنحه العزّة والشرف والعظمة والمجد. ولقد سجّل في شعره تلك المواقف

العزيرة والشريفة التي تُشرف كل إنسان تضع ظروفه موضع عنبرة بن شداد فهو الذي في إباته واعتزازه بنفسه يعلن أنه كان يحتمل الجوع نائياً عن مأكّل دنيء أو كسب وضيع، يقول في اعتزاز صادق:

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَلُهُ حَتَّى أَنْالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

(المصدر السابق: ٢٧)

قد حدّد هذا القول نهج الشاعر في الحياة «ذلك النهج الذي ينبض عزة وأريحية إذ ليس المراد خصوص الأكل والجوع وإنما المراد أنه في نهجه الشريف العفيف يحتمل الشدة القاسية في سبيل هدف سامّ وغاية نبيلة فالغايات التي تبرق له محاطةً بوسائل ذميمة أو مسبقة بما يشين بأبائها كل الإباء؛ لأنها لا تليق بعزة العربي وشممه. تلك العزة الفطرية التي جاء الإسلام فزكاها وجبّدها؛ لأنها تتفق وتعاليمه في هذا المجال، حتى أنّ رسول الله (ص) حينما يُنشد أمامه قول عنبرة -ولقد أبيت على الطوى تعجبه عزة عنبرة وسماحته ويقول: ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنبرة» (ناجي، ١٣٩٤: ٨٣٦ و٨٣٧).

إنّه من جهة يتحدّث عن المروءة والكرم ويتجنّب عن أمور وأعمال تمسّ هذه العزة والشرف وتعييه تجنباً شديداً، ومن جهة أخرى يتحدّث عن الصفات التي تلاحم ذلك الهدف كالعفة والحياء اللذين يكونان نتيجةً لعزة النفس وآثارها:

أَغْشَى فَتَاةَ الْحَيِّ عِنْدَ خَلِيلِهَا وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي
وَإِذَا غَزَا فِي الْجَيْشِ لَا أَغْشَاهَا حَتَّى يُؤَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا
إِنِّي امْرُؤٌ سَمُحٌ الْحَلِيقَةِ مَا جَدُّ لَا أُتْبِعُ النَّفْسَ الْجَنُوحَ هَوَاهَا

(الديوان، ١٩٩٢: ٢٠٨)

رغم أنّ أسباب الهوى كانت ميسرة ومتوفرة عند عنبرة ولكنها لا تبعد من العفة والحياء؛ لأنها كانت نابعة من شرفها ونفسه العالية. فهو يرنو إلى العزة والمجد ويرفض كل شيء يمسّ تلك الغاية الكبيرة والعزة السامية، فلذلك يقول:

أَبْصَرْتُ ثُمَّ هَوَيْتُ ثُمَّ كَتَمْتُ مَا أَلْقَى وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَاكَ مُنَاجِي
فَوَصَلْتُ ثُمَّ قَادَرْتُ ثُمَّ عَفَفْتُ مِنْ شَرَفٍ تَنَاهَى بِي إِلَى الْإِنْضَاجِ

(المصدر السابق: ٤٣)

كما مرّ سابقاً؛ هناك علاقة وثيقة بين عنبرة والعدد الحربية كالسيف، والرمح، والقوس، وغيرها. ولكن يبدو أنّ الشاعر يستخدم جميع هذه الأدوات في سبيل هدفه السامي ويتخذها أداة في الوصول إلى غايته العالية؛ على سبيل المثال يجعل السيف أداة بناء المجد والعظمة ويقول:

بَنَيْتُ لَهُمُ بِالسَّيْفِ مَجَاداً مُشِيداً فَلَمَّا تَنَاهَى جَدَّهُمْ هَدَمُوا مَجْدِي

(المصدر السابق: ٥٩)

وأحياناً يستخدم السيف كوسيلة لإقامة الحقّ وتبيين الرّشاد من الغي ويجعله فاصلاً بين الضلالة والهداية:
 وَلَوْلَا سَيْدٌ فِينَا مُطَاعٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ مُرْتَفَعُ الْعِمَادِ
 أَقَمْتُ الْحَقَّ بِالْهَدْيِ رَغْماً وَأَظْهَرْتُ الضَّالَالَ مِنَ الرَّشَادِ
 (المصدر السابق: ٥٨)

لكن قد يسأم السيف في كفّ عنتره، وربما يرجع ذلك إلى أنّ هذه العشيقات ليست غرضه الرئيسي، بل ما يتوخاه الشاعر هو أهمُّ من تلك العشيقات؛ حيث يكلّ السيف في طريقه ويتعب، وهذا الهدف هو العزّة.

وَيَشْكُو السَّيْفُ مِنْ كَفِّ مَالٍ وَيَسْأَلُ عَاتِقِي حَمَلِ النَّجَادِ
 (المصدر السابق: ٥٨)

النتيجة

يعتمد الشعور بالنقص لدى عنتره على عوامل عدة أهمّها هي: البيئة أو المجتمع الذي نما فيه الشاعر من جهة، وسواد الجلد والمهجنة من جهة أخرى، مما أدّى إلى نوع من الشعور بالنقص وظهوره بالنسبة إلى الآخرين. وكذلك يرى عنتره طريق الخلاص والخروج من هذه الأزمة في الوصول إلى مكانة تؤدّي إلى الاعتراف به ومعرفة حقّه. هذه المكانة هي العزّة والحرية. بما أنّ البطولة والمروءة والقوة على القتال والمناضلة وإنشاد الشعر كلّها كانت موضع اهتمام الجاهليين والنظام القبلي وكان للشعراء والأبطال مكان مرموق عند القبيلة لذلك دخل عنتره هذا المضمار إثباتاً لشخصيته. هذا واتخذ أسلوباً خاصاً مميّزاً من الحياة، ينحدر من الظروف الاجتماعية والبيئية التي عاشها الشاعر وخاصة تلك الغاية القصوى التي يتوخّاها. التعامل والاختلاط بالأدوات الحربية ووصف المعارك وساحات القتال، والميل إلى الفضائل الإنسانية العالية من أهمّ تجلّيات هذا الأسلوب التي اتخذها عنتره لحياته.

هناك ثلاثة عوائق تمنع عنتره في طريق غايته الرئيسية: الأولى هي عيلة؛ لأنّها تنظر إلى الشاعر بازدراء وهوان فلا تقيم له وزناً، الثانية لونه الأسود وأمه الحبشية، والثالثة ميدان الحرب والكمأة المناضلين. الاثنان منها يخضعان للقوة الاجتماعية والأخير للقوة الفردية التي كان التغلّب عليه سهلاً بالنسبة إلى الأولى والثانية، فلذلك يهجم الشاعر عليهما من جانب الفروسية والبطولة لإزالتهما وتثبيت شأنه وقيّمته الحقيقية. وصلت علاقة عنتره بالغدد والأدوات الحربية والمزج بها إلى حدّ نراه في كثير من الأحيان يستخدم هذه الأدوات لنقد المجتمع والمهجوم على اعتقاداته الخاطئة خلال تعديد صفات هذه الغدد خاصّة

السيف والرمح. على سبيل المثال عندما يريد أن يشكو من النفاق والغدر في المجتمع، يذكر الرمح ويصفه بالرسول الصادق وأمين السر. وفي مكان آخر ينتقد عادة المجتمع السيئة في نكرانه للأبطال والشجعان الحقيقيين، متحدثاً عن حدة السيف وجوهره مقابل غمده وعدم فائدة تزيينه. مما يعتبر نوعاً من التلافي والتصرّفات التعويضية من جانب الشاعر.

يمكن القول بأنّ عنتره في سبيل التعويض عن شعوره بالنقص -أي سواد الجلد وفقدان المكانة الاجتماعية وعدم اهتمام المجتمع به- فضلاً عن اعترافه بهذا الشعور، يسعى لكي يعوّض عنه في مجالات أخرى ويبدّله إلى بديل آخر؛ لذلك يُقبل إلى الفروسية والفتوة والمروءة والشجاعة ومساعدة أترابه وسائر الناس، كما يعرف نفسه لمجتمعه من خلال موهباته هذه ويستخدمها لإثبات شخصيته وقدر مكانته، وهكذا يحقق غايته الرئيسية يعني الكمال في العزة والتعالي.

في ضوء هذا التحليل نرى تناسقاً تاماً بين العناصر التي يعشقها عنتره ويصفها بما فيها عبلة، والسيف، وسمر القنا والعدد الحربية؛ لأنّه رغم اختلاف جنس هذه العشيقات يستخدمها في سبيل غاية واحدة وكلّها تسير في مسلك واحد وتبحث عن هدف واحد. حيث تجعل هذه العشيقات كلّها طريقاً أو سلماً يصل الشاعر عبرها إلى غايته النهائية أي تحقيق العزة والكمال.

في القصائد والأبيات التي يتحدث الشاعر عن هذه العناصر أو العشيقات، يوجد تناسقاً واتصالاً وعلاقة بينها، ولذلك يمكن أن نردّ على بعض النقاد القدماء الذين يعتقدون بالاستطراد وتشتت الأفكار في الشعر الجاهلي عامة وشعر عنتره خاصّة.

المصادر

العربية

- أدler، الفريد (٢٠٠٥)، معنى الحياة، ترجمة وتقديم: عادل نجيب بشري، الطبعة الأولى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- الجبوري، محمد محمود عبد الجبار (١٩٩٠)، الشخصية في ضوء علم النفس، بغداد، دار الكتب والوثائق.
- خليفة، يوسف (١٩٧٨) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف.
- الشريني، لطفي، عادل صادق (د.ت)، معجم مصطلحات الطب النفسي، د.م: موسسه الكويت للتقدم العلمي، مركز تعريب العلوم الصحية.
- الصباح، محمد علي (١٤١١ق)، عنتره بن شداد: حياته و شعره، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الفاخوري، حنا (١٣٨٥ش)، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، قم، انتشارات ذوي القربى.

- عامود، بدر الدين (٢٠٠١ م)، علم النفس في القرن العشرين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- عزت راجح، احمد (١٩٦٨ م)، اصول علم النفس، الطبعة السابعة، القاهرة، دارالكتاب العربي للطباعة والنشر.
- عنترة، (١٩٩٢ م)، الديوان، التقديم والهوامش مجيد طراد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.
- المختاري، زين الدين (١٩٩٨ م)، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، تلمسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- موسى، نبيل (٢٠٠٢ م)، موسوعة مشاهير العالم (أعلام علم النفس و...)، الطبعة الأولى، بيروت، دار الصداقة العربية.
- الواليلي، كريم عبد هليل (٢٠٠٢ م)، الشعر الجاهلي قضايه و ظواهره الفنية، الطبعة الثانية صنعاء، مكتبة الجيل.

الفارسية

- پروین، لارنس ای (۱۳۷۲)، روان شناسی شخصیت، مترجم: جوادى و کدیور، تهران: بعثت.
- ساعتچی، محمود (۱۳۷۷ ش)، نظریه پردازان و نظریه ها در روان شناسی، چاپ اول، تهران: سخن.
- شولتز، دوان و سیدنی الن شولت (۱۳۷۷ ش)، نظریه های شخصیت، مترجم: یحیی سید محمدی، تهران: هما.
- فرجی، ذبیح الله (۱۳۵۲ ش)، عقده ها، تهران: کاویان.
- کریمی، یوسف (۱۳۷۷ ش)، روان شناسی شخصیت، چاپ چهارم، تهران: مؤسسه نشر ویرایش.
- منوچهریان، پرویز (۱۳۶۲ ش)، عقده حقارت (شناخت تحلیلی و راه درمان آن)، چاپ اول، تهران: گوتنبرگ.
- یاوری، حورا، (۱۳۷۴ ش)، روان کاوی و ادبیات، دو متن، دو انسان، دو جهان، تهران: تاریخ ایران.

المقالات

- احمد ناجی، عبدالغنی، (۱۳۹۴ ق)، «مواقف العزة في الشعر العربي»، مجلة الأزهر، السنة السادسة والأربعون، صص ۸۳۶-۸۳۹.
- ایمانیان، حسین، (بهار ۱۳۹۲ ش)، «تساویر سپاهی گری در عاشقانه های عنترة بن شداد»، فصلنامه لسان مبین، سال چهارم، شماره ۱۱، صص ۳۷-۵۴.
- بجیح، علی غریب (دیسمبر ۱۹۸۰ م)، «الشعراء والحب»، مجلة الأدب واللغات الجديد، العدد ۲۱۵، صص ۲۴-۲۷.
- الصائغ، عبدالله (۱۴۰۹ ق)، «طيف الحبيبة في الشعر العربي قبل الإسلام»، مجلة آداب الرافيدين، العدد ۱۸، صص ۲۹-۶۸.
- عرب، عباس، یونس حق پناه، (۱۳۹۰ ش)، «تحليل روان شناسی اشعار صعالیک براساس مكتب أدلر»، مجله زبان و ادبیات عربی، شماره ۵، صص ۱۱۵-۱۴۴.
- قبادی، حسینعلی (۱۳۸۸ ش)، «نقد و بررسی شخصیت زال از دیدگاه آلفرد آدلر»، فصلنامه نقد ادبی، سال دوم، شماره ۷، صص ۹۱-۱۱۹.
- ناصری، عباسعلی، فیروزه رئیسی (۱۳۸۶ ش)، «مروری بر نظریات آدلر»، مجله تازه های علوم شناختی، سال ۹، شماره ۱، صص ۵۵-۶۶.

بررسی روان‌کاوانه شخصیت «عنتره»

بر اساس نظریه آلفرد آدلر

رضا افخمی عقدا^۱، محسن زمانی^{۲*}، علی محمدی^۳

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد

۲. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد

۳. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد

چکیده

در قرن بیستم نقد روان‌کاوانه آثار هنری رواج یافت. تحلیل متون و شخصیت‌های اثر ادبی از منظر روان‌شناسی در میان رویکردهای گوناگون نقدی ویژگی‌های خاصی دارد. از میان نظریه‌های شخصیت، نظریه روان‌شناسی فردی آلفرد آدلر اهمیت ویژه‌ای دارد؛ چراکه وی برخلاف فروید عقیده داشت نوع رفتارهای انسانی را عوامل اجتماعی تعیین می‌کند نه غریزه جنسی. او عقیده داشت میل به پیشرفت و برتری، ذاتی انسان و فطری اوست. از آنجاکه شخصیت عنتره با توجه به توصیفات خود شاعر، ظرفیتی غنی برای بررسی روان‌کاوانه آن دارد، این جستار می‌کوشد تا شخصیت عنتره را - با توجه به ظرفیت‌های آن - در چهارچوب نظریه آدلر بررسی نماید؛ از این رو با روش توصیفی تحلیلی به بررسی و تحلیل اشعار وی پرداخته‌است. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد: شاید آنچه عنتره را واداشته تا به اظهار شجاعت، کرامت و جنگاوری خود بپردازد، عقده حقارتی نبوده که آن را به عنتره نسبت داده‌اند؛ بلکه همان احساس حقارتی بوده که از ویژگی‌های ذاتی انسان است و به ناتوانی طبیعی انسان در آغاز حیات برمی‌گردد. عنتره به دنبال رسیدن به کمال، عزت، علو و تعالی - همان هدف غایی خود - بوده‌است و به نوعی روش زندگی انتخاب‌شده توسط وی، این هدف والا را تعقیب می‌کند.

کلیدواژه‌ها: عنتره؛ احساس حقارت؛ عقده حقارت؛ آدلر.